٣٠

مشروع جماعة البحث: استخدام تجربة الطالب لتعزيز التعلم والاحتفاظ بالطلاب

جانيس ل ماسا Janis L. Massa

يعرض هذا الفصل نموذجاً عملياً لصف دراسي يستفيد من خلفيات اجتماعية وأكاديمية ولغوية لطلاب في السنة الجامعية الأولى متنوعين ثقافياً وذلك من أجل مساعدتهم للارتباط بالمنهاج. وهناك وصف مفصل لمشروع الجماعة يتضمن نقاط تحول صنعها المتعلمون ومخرجات لاحظها المدرس الباحث.

إن التحصيل التعليمي للاسبان ولطلاب آخرين مختلفين ثقافياً عبر الولايات المتحدة هو في حالة أزمة. والأزمة ظاهرة في انخفاض معدلات الانسحاب إلى أعلى من ٨٠٪ في بعض مدارس المناطق وأكثر من ٥٠٪ على مستوى البلاد بأسرها. إن معدلات الإنجاز والاحتفاظ بالطلاب في بعض مؤسسات التعليم العالي هي أيضاً كئيبة. وأخفقت النماذج التعليمية الحالية في تلبية الحاجات للكثير من السكان في العمر المدرسي وفي رياض الأطفال وحتى المعاهد. والنتيجة هي أرض قاحلة مقفرة بإمكانات إنسانية غير متطورة وباستعمال غير مثمر للموارد التعليمية، واستمرار لعدم المساواة الأكاديمية والاجتماعية. والتحدي أمام الأساتذة المعلمين هو في تصميم مقاربات لمنهاج يُبنى على خلفيات الطلاب اللغوية والأكاديمية والاجتماعية ودمج هذه التجربة في الصف بدلاً من إقصائها عنه.

إن مشروع جماعة البحث (GRP) هو مثال لنموذج في التعليم والتعلم صُمّم لكي يعزز الإنجاز الأكاديمي والاحتفاظ بأعداد متزايدة من الطلاب المتنوعي الثقافة حين «يقفزون إلى ثقافة أكاديمية جديدة» (Bruner 1996) في الكليات عبر الولايات المتحدة أثناء زيادة التعلم وإنتاجية المؤسسات. إن مشروع جماعة البحث هو ثمرة بحث تموله مؤسسات هي:

The Research Foundation of The National Councl of Teachers of English, the Rockefeler Foundation in Conjuction with the Institute for Research on African Diaspora in the Americas and the Caribbean (IRADAC) and Title V Action Research Institute of the City University of New york.

دمج خلفيات الطلاب في صفوف المعهد

منذ كتاب جون ديوي المبكر عام ١٨٩٩ المدرسة والمجتمع the school and society وحتى عام ١٩٣٨ في كتابه الثاني التجربة والتعليم Experience and Education استنتج جون ديوي أن الأفراد يبنون المعرفة من المعلومات ومن المشاعر ومن التجربة المعاشة لامن معلومات خارجية لا تتصل بالذاتية الإنسانية. إن الدراسة واللغة والتجربة المعاشة التي يجلبها الطلاب معهم إلى غرفة الصف تشكل أساس التعلم وبالتالي إبداع نشاطات منهاج صحيح (suarez- orozco and Paez 2002) إن المعلومات المنتزعة من سياقها دون أساس تجريبي نادراً ما تؤدي إلى التعلم. ومع ذلك فإن الإعداد الأكاديمي السابق وقابلية التعلم والقوى الأكاديمية والحاجات غالباً لا علاقة لها بالتعليم أو باتخاذ القرارات. ويوجه تدريس الصفوف التقليدي في أغلب الأحيان بما يريد الأستاذ من الطلاب أن يعرفوه لا بما يريد الطلاب أن يعرفوه ويفهموه ويعلموه عن موضوع ما. لقد صمم مشروع جماعة البحث ليعتمد على الخلفية التعليمية والتجريبية للطلاب لا للأساتذة لإحداث شعور بالعضوية في الوقت الذي يعكس فيه الشعور بالإقصاء في الصفوف الدراسية وشعور بالعضوية ضمن البيئة الأكاديمية هو شرط أساسي لازم لحدوث التعلم.

الخلفية التعليمية السابقة

أحد العوامل الرئيسة المحددة لأساس المعرفة أن يُحضر الطلاب إلى الصف تعليماً سابقاً. الطلاب من جمهور الدومينكان هم من أكثر الجماعات المهاجرة سرعة في الازدياد في منطقة مدينة نيويورك وأغلبية المتعلمين من ممن لديهم اللغة الانكليزية لغة ثانية ESL، هم من المتكلمين بالإسبانية من الكاريبي. وكشفت استبانات السيرة الذاتية والمقابلات المتلاحقة والبحث الخاص بالثقافات (Ethnographic) المبدئي الذي تم في المناطق الريفية من جمهورية الدومينكان، كشفت أن بعض الطلاب في صف ESL المتخرجين من المدارس الثانوية أصيبوا بضيق اقتصادي.

إن رواتب المعلمين في جمهورية الدومينكان تغطي بصعوبة كلفة الضروريات الأساسية في الحياة. والإضرابات والانقطاع عن وقت الصف الدراسي متكررة الحدوث هناك. إن المدارس مفرطة الازدحام (مكتظة) غالباً وهناك نقص في الأمور الضرورية كالهواتف والورق والأقلام. وحصة الطالب من الموازنة في جمهورية الدومينكان كانت ١٧ دولاراً عام ١٩٩٤ (Encarnacion, 1994) وانخفضت حديثاً.

وثمة طلاب آخرون في صفنا ESL المذكور، تعلموا في مدارس عامة في مدينة نيويورك حيث الحال إلى حد ما أفضل. ويذكر أن ميزانية نظام المدرسة العامة في مدينة نيويورك التي تسجل أكثر بقليل من مليون طالب تبلغ ٨ إلى ١٢ بليون دولار، وعلى أية حال يوجد تباين شاسع في مدارس المقاطعة من إلى آخر. إن الاكتظاظ هو المشكلة الرئيسة في العديد من المدارس القريبة من مركز المدنية وبعض الذين يدخلون الصف الأول في الكلية يأتون من صفوف ثنائية اللغة وصفوف ESL التي يدرس فيها معلمون غير مُعدّين، ومنهم من لا يمتلك لغتين ولم ينل إجازة تدريس في ESL. ومعظم طلاب اللغة الثانية في صفوف كلياتنا كانوا موجهين إلى سبل غير أكاديمية في المدرسة الثانوية وهذا راجع إلى

المهارة المحدودة في اللغة الانكليزية لا بسبب نقص الإمكان الأكاديمي. والأقلية الصغيرة من طلاب اللغة الثانية الذين وجدوا طريقهم إلى الكلية يتابعون دراستهم بالرغم من تثبيط همتهم من أساتذتهم في المدرسة الثانوية ومن الموجهين ومن البيت.

بالرغم من هذه العقبات المؤسساتية التعليمية فإن القادمين إلى السنة الأولى في الجامعة قبلي كانوا يتابعون ببطء مستوى اللغة والمهارة الأكاديمية المطلوبة لإنجاز عملهم في الكلية. إن مشروع جماعة البحث GRP صمم ليساعد الطلاب على النجاح وذلك بالاستفادة من تنوع لغة الطلاب والمهارات الأكاديمية بالإضافة إلى التنوع الغني في تجاربهم المُعاشة.

توجيه اللغة السابق

على حين أن بعض الطلاب في صف ESL على مستوى الكلية أكملوا الدراسة من دور الحضانة وحتى الثانوية مع برامج ثنائية اللغة في مدارس نيويورك العامة فإنهم غالباً يدخلون الكلية ولديهم أدنى حد من المهارة في معرفة القراءة والكتابة في كلتا اللغتين. إن العديد من الطلاب لم يواجهوا أبداً أي تحد لقراءة كتاب كامل أو لكتابة موضوع. وكتابة الواجبات تتم في معظم صفوف الثانويات بملء الأجوبة عن أسئلة متعددة الخيارات. والعديد من الطلاب لم يتوقعوا أو يتهيؤوا لإنجاز نجاح في التعليم العالي.

تجربة معاشة

تشير الاستبانات والمقابلات وحديث الطالب عن نفسه إلى أن العديد من طلاب صف ESL هم من خلفيات تتصف بفقر مدقع وأسر مشتتة مع تاريخ هجرة جغرافية. وكشفت قصص العديد من طلابي عن نماذج لمهن بأقل من الحد الأدنى للأجور، وعن شعور قوي بالواجب العائلي واكتظاظ في الظروف المعيشية وأجواء منزل غير مناسبة للدراسة.

التوجه إلى الحاجات التعليمية

من خلال مشروع يركز على الطالب

يتطلب مشروع جماعة البحث GRP من الطالب أن يقود بحثاً بنفسه عن الموضوع الذي يختاره مبتعداً عما هيأه الأستاذ من نشرة أوراق عن الواقع. وفي محاولة لوصل واقع الطالب الخارجي بكيان المعرفة الواسع يُسأل كل طالب أن يكتب قائمة بالعوامل الحافزة التي أدت إلى اختياره أو اختيارها الهجرة إلى الولايات المتحدة. ثم يضيّق الطلاب قائمة العوامل هذه لتقتصر على التي أكثرها سيطرة. وتتضمن العوامل: عوامل اقتصادية (بما فيها البطالة) وتعليمية (بما فيها الحرمان من مصروف رسوم التعلم البالغة ٦ دولارات في الشهر بالإضافة إلى أجور التنقل واللباس الموحد والكتب)؛ وشؤون النوع Gender من حيث الذكورة والأنوثة ـ (بما في ذلك الزيجات المرتبة ونقصان فرص التعليم والعمل للنساء). يضع الطلاب حالتهم الخاصة في سياق الظروف الحالية في بلادهم الأصلية ويربطون ذلك بقرارهم في الهجرة.

ينحرف مشروع GRP عن الطبيعة التنافسية والمعزولة للمهمات الأكاديمية الاصطلاحية. ويزاوج الأستاذ الطلاب حسب اللغة المختلفة والمهارات التكنولوجية، وكل زوج يكون مسؤولاً عن الإشراف والمراقبة والنقد لمضمون ووضوح اللغة في ورقة بحث الآخر. ويتشارك أعضاء الفريق في معرفتهم ويساعد كل منهم الآخر للحصول على الوضوح بافتراض دوري الأستاذ والطالب.

يقسّم الطلاب الموضوعات الواسعة إلى موضوعات فرعية. إنها المرة الأولى التي يُستدعى فيها العديد من الطلاب لكي يصنفوا الموضوعات بشكل متسلسل. ويندرج في جدول المحتوى الموضوعات الرئيسة والموضوعات الفرعية. ونقدم فيما يلي مثاليين عن موضوعات واسعة وما يطابقها من موضوعات فرعية اختارها أحد الطلاب.

الموضوع الرئيسي: الاقتصاد في جمهورية الدومينكان.

الموضوعات الفرعية: أ- في منطقة نظام Regime تروجيلو Trujillo.

ب - في منطقة العولمة الحديثة.

جـ - تأثيرات على أسرتي.

يجد الطلاب معلومات مناسبة في الكتب وفي مقالات مطبوعة وعلى الانترنت. وتركيب المعلومات المستقاة من المصادر المتنوعة أمر جديد بالنسبة للطلاب الذين كانوا في أوضاع أكاديمية لا تتطلب منهم تذكر جواب صحيح (واحد) دون النظر إلى استخدام المعرفة. وتتطلب الوظيفة التمهيدية من كل طالب أن يجري بحثاً في المكتبة الإلكترونية لكي يلخص المصادر ويذكرها في مداخل بيبليوغرافية. وهذه مهمة غير معهودة وصعبة للعديد من طلاب الكليات الذين جاؤوا من مدارس ثانوية عامة (Massa 1996).

ويتبادل الطلاب ملخصات المواد التي وجدوها في المكتبة مع شركائهم مما يضع كل عضو في دوري الكاتب والناقد. تقدَّم مخططات أقسام البحث إلى الأستاذ مع مخطط البيبليوغرافيا. والبيبليوغرافيا التي لا تتناسب مع أسلوب الكتيب تعاد إلى الطالب لمراجعتها. ويواجه الطلاب تحدياً في دقة المداخل التي عليهم إدراجها (في البيبليوغرافيا).

يركب كل عضو في الجماعة ما استخلصه من نتائج ومعلومات. ويجري الربط بين فروع الموضوعات في المقدمة، وتظهر النتائج في نهاية كل بحث. ويعمل الطلاب بتعاون محكم، والعلاقة الداعمة والتي لا تطلق أحكام قيمة بين الشركاء تقدم بديلاً لتعليم الأستاذ الموجه ولأدوار الأستاذ /الطالب التقليدية. وكل جماعة تعرض نتائج بحثها على بقية أفراد الصف. وتعطى درجة للورقة المكتوبة ودرجة للعرض الكلامي. وكل شريك مسؤول عن نجاح شريكه في بحثه وعن الدرجة التي تعطى للبحث. وتكشف مدخلات مجلة تأملية أن مهارات البحث الجديد المكتسبة تطبق في أعمال صفوف أخرى.

المخرجات

إن المخرجات الاجتماعية والأكاديمية واللغوية للعمل في مشروع البحث هذا زادت احتمالات إنجاز النجاح في العمل في مستوى الكلية ـ اكتسبت إنتاجية مهمة للطلاب وللمؤسسات على حد سواء.

مخرجات اجتماعية

تزود المشاركة في مشروع بحث تعاوني فرصة للطلاب ليأخذوا على عاتقهم أدواراً اجتماعية جديدة. يشارك كل طالب في عملية اتخاذ القرار. والمشاركة في هذه العملية تنتج غالباً من تكليف الطالب بدور رئاسي (Rob-ben and Suarez- Orozco 2000). يكسب بعض الطلاب ثقة جديدة بالنفس يكتشفونها حديثاً حيث يأخذون على عاتقهم أدواراً جديدة ويواجهون تحديات أكاديمية. ويقرر أعضاء الفريق أنفسهم الموضوع وفروع الموضوع وسير العمل. وتعين مهام خاصة من كل شريك، إذ يحدد الطلاب الشكل الذي سوف تعرض به نتائج بحثهم على بقية أفراد الصف. ويضطر الطلاب الذين من عادتهم الصمت وقلة الكلام أن يصبحوا مشاركين بفعالية. وتشكّل العلاقات في الكلية التي هي جديدة بالنسبة للبعض زملاء أنداداً من مختلف الخلفيات التعليمية والخلفيات الثقافية والمستويات المتنوعة في إتقان اللغة.

وكما ذكر في صحيفة مدخلات الطلاب أن المعرفة التي ربحوها حول سياق أوسع يحيط بهجرتهم تثبت الدافع لها لدى هؤلاء الطلاب. كان بعض الطلاب مضطرين إلى الهجرة دون أن يكونوا متأكدين من الأسباب ولكن هذه العملية جعلتهم يفهمون تلك الأسباب.

مخرجات أكاديمية

ليس برنامج GRP إلا مثالاً واحداً عن بديل يقدم لواجبات يفرضها المدرس قائمة على موضوعات يفرضها المدرس نفسه. إن الصفة الملازمة لتصميمGRP هي الفرصة التي يزود بها الطلاب لكي يأخذوا على عاتقهم عملية التعلم

بمشاركة فعالة. ويكون الموضوع ملائماً للمتعلمين المشاركين بفعالية في عملية متابعة وبناء المعرفة أثناء تعلمهم عن بلادهم الأصلية ودور أسرتهم ومن ثم معرفتهم بأنفسهم. إن الاهتمام الأصيل في اختيار الطالب لموضوعه هو حافز له. ويطلب إلى الطلاب أن يستخدموا التكنولوجيا من أجل بحثهم الأكاديمي. وأكثر الطلاب مهارة يوجهون الطلاب الأقل خبرة في استعمال الانترنت كأداة بحث. ومثل هذه المهارات تسهل إنجاز العمل الأكاديمي وتعدّ الطلاب لمهن المستقبل. وتكشف صحيفة المداخل التأملية مفاخر باهرة حازتها أعمالهم.

إن إنتاجية هذا النموذج بينة في جودة مشاريع البحث الأخيرة. لقد كانت الأوراق جيدة البحث وجيدة الكتابة. وجرّب الطلاب أن يعرضوا المعلومات بأشكال جديدة بما فيها الخطوط البيانية والصور من الأرشيف والإحصائيات. صور بعض الطلاب بالفيديو مقاطع فلم أو برامج تلفيزيونية ليضمنوها في عرضهم. لقد بذل الطلاب جهداً عظيماً في كتابتهم وفي عرضهم الكلامي للمعلومات عن موضوع له أهمية شخصية بالغة.

مخرجات لغوية

إن مسؤولية كل طالب في أن يشرك بقية الطلاب في الصف بما توصلت إليه بحوثه ينجم عنها تماسك وترابط في الأفكار. ويبدو واضحاً ابتكار الأفكار ومجازفة استخدام بنى لغة جديدة، والجدير بالملاحظة أن وجود قليل من الجمل المجزأة وتزايد في بنى الجمل المعقدة أمر واضح.

وقد تعرض الطلاب من خلال مشروع واسع وتوجيه ذاتي في القراءة إلى نماذج من الكتابة الأكاديمية. ويكتب الطلاب عدة مسودات مخططات لخلاصات المعلومات من الكتب ومن مداخل الصحف اليومية. وينجم عن العمل المعزز المشرف عليه ذاتياً دقة في القواعد وتعبيرات أطول عن الأفكار في عمل الطالب الكتابي.

يأتي الطلاب بلباس رسمي يوم التدريب على محاضراتهم. واستخدامهم للغة الكلامية الفصحى في الانكليزية تعتبر أكثر وضوحاً بالمقارنة مع كلامهم المحكي في بداية الفصل. ويبدو الطلاب متوازنين مطمئنين غير مرتبكين أثناء المحاضرة في الصف. وتؤكد الكتابة الجيدة لأوراق البحث النهائية والمحاضرات الكلامية التي تم تجريبها بشكل جيد تؤكد المدى الذي وصل إليه التعلم وتطور اللغة.

مضامين

لقد جاء الوقت للأساتذة المعلمين كي يتصدوا لأزمة الإسبان والطلاب الآخرين من ثقافات متنوعة في الولايات المتحدة. إن نماذج التدريس التي تعزز تعلم الاكتشاف مثل برنامج GRP يشرك الطلاب أثناء تسهيله انتقالهم إلى الكليات. ووقائع الطلاب المباشرة والسابقة تُجلب إلى الصف. ويعلّم الشركاء ويتعلمون كل من الآخر أثناء التزامهم في المشروع أكثر من عملهم بانعزال كل عن الآخر. إن برنامج GRP فعّال إلى درجة عالية لكونه يزود بفرص للطلاب لكي يأخذوا دوراً رئاسياً في تعلمهم الذاتي من خلال التزامهم بعمليات اتخاذ القرار. وبالنسبة لبعض الطلاب إنها المرة الأولى التي شُجعوا فيها ليأخذوا على عاتقهم معنى الوكالة.

إن الدراسات الطولانية Longitudinal التي تقتفي أثر الطلاب الفرديين ضرورية لإنتاج بيانات عن إنجاز طلاب الكليات المختلفي الثقافات، بما في ذلك معدلات نجاحهم وبقائهم في الكلية ومقاييس التطور اللغوي لديهم. ويمكن تصميم دراسات مقارنة لربط نتائج البديل في مقابل الطرق التعليمية التقليدية. والعديد من النتائج المعروضة في هذا الفصل هي انطباعية تقوم على الملاحظة أثناء الصف وعلى جمع بيانات خاصة بالثقافات من الاستبانات والمقابلات وملاحظات على الواقع ومداخل الصحف. والهدف هو النظر إلى الطلاب كي يقودونا بابتكار نماذج إنتاجية للمنهاج، تلك النماذج التي فيها إمكانات لتوقف

الأزمات التعليمية المنتشرة على نطاق واسع والتي تهدد بإبقاء جودة التعليم للخاصة وحدهم. إن مشروع جماعة البحث يضرب مثلاً على نموذج بديل مصمم لكي يعكس الإحصاءات التعليمية الكئيبة ولضمان الوصول إلى إنجاز في التعليم العالي يشمل الجميع.

obeikandl.com